Saisset إلى أن يقوم بتطبيق مصطلح الريبية على مذهب "كانط" الانتقادي الذي يدعوه:« المذهب الأعمق، الأكثر جدّية وأصالة بين المذاهب الريبية الحديثة» [201]

الأوهام المتعالية: بطبيعة العقل أنّه ينزع إلى تجاوز معطيات التجربة إلى الأشياء في ذاتها فيرتكب أوهاماً متعالية. فينطلق الذهن إلى بناء معرفة نظرية مجردة خالية من كل مضمون، وهي معرفة عامة لا تتعلق بالزمان والمكان ولا تتقيد بأية تجربة، وفي هذه الحالة ستكون المعرفة هذه أشبه ما تكون بالقانون الفارغ المليء بالأحكام المطلقة السفسطائية، وكل هذا بحثه كانط في الجدل. ويقصد كانط بالديالكتيك البحث الجدلي في المعرفة المجردة الفارغة غير المقيّدة بالتجربة وموضوعاتها، والملكة التي توكل لها هذه المهمة هي الذهن أو بالأحرى ذلك القسم من الذهن المسمى العقل(202) ويقدّم لنا كانط مجموعة من الأفكار الزائفة المؤسسة على هذه الأوهام المتعالية وأهمها: مثل فكرة الله، و فكرة العلّية، وفكرة الحرية، وفكرة الجوهر، وفكرة خلود النفس.

<u>الإتجاه النقدي في الأخلاق:</u>انطلق من السؤال الأخلاقي ماذا يجب عليّ أن أفعل؟ أو ماذا ينبغي علي أن أعمله؟، هذا السؤال هو محور فلسفة كانط الأخلاقية، لكنه قبل الإجابة عن هذا السؤال ، كان عليه أن يقوم بفحص المذاهب الأخلاقية الكبرى التي سبقته.

<u>نقد المذاهب الأخلاقية السابقة</u>: جميع المذاهب الأخلاقية السابقة بما فيها المذاهب التي تأسست على العقل. يحكم عليه كانط بالتهافت، فهي حدّدت غاية للأخلاق وهو الخير المطلق. **فالمذاهب العقلية** جعلوا الخير المطلق غاية، لكن كانط، وكما مرّ بنا، يرى أن الخير المطلق مبحث ميتافيزيقي، يتجاوز حدود التجربة، والعقل عاجز عن معرفة ذلك كما أثبت في كتابه نقد

201 - نقلاً عن: لالاند (أندريه)، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الثاني. مرجع سابق، ص:1245.
202 - هويدي يحي، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص ص:113-114.

العقل الخالص، كما نقد **فلاسفة أخلاق اللذة**(أبيقور)، **وفلاسفة أخلاق المنفعة**(بنتام والمنفعة الخاصة– ستيوارت مل والمنفعة العامة)، لأنهم ربطوا القيم الأخلاقية بالطبيعة البشرية ، والطبيعة البشرية لا تخلو من النزوع نحو الشر، وهي مصدر الخطيئة.

العقل أساس الأخلاق: يعدّ كانط العقل مصدراً للفعل الأخلاقي؛ ومادام العقل له مجالين: مجال نظري يخص المعرفة، وهو العقل النظري الخالص، ومجال عملي، وهو العقل العملي الخالص، وهو الذي يخصّ الأخلاق. وهذا النوع الثاني من العقل قد يصدر نوعين من الأوامر: **أوامر شرطية مقيّدة:** ترسم الوسائل المؤدية إلى بلوغ غاية من الغايات، كأن نقول إذا أردت أن تكون ناجحاً عليك بتقديم الخدمات للآخرين. هذا الفعل الأخلاقي غير نزيه لأنّه يرتبط بغاية. ثانياً، **أوامر قطعية مطلقة:** لا ينظر فيها إلى الغايات، أو النتائج التي تترتب عنها، وإنّما نقوم بالفعل لذات الفعل فقط، وبدون دافع أو غاية لذالك الفعل.وهذا ما يعرف عند كانط "**بفعل الواجب**" الذي لا يتحدّد بشروط ولا يرتبط بغايات. لا يهدف إلا للمحافظة على القانون الأخلاقي ولا يرتبط بالطبيعة البشرية برغباتها ومتطلباتها. وقد وضع كانط بعض القواعد العملية للواجب، وهي: **قاعدة التعميم:** " اعمل دائماً بحيث يكون في استطاعتك أن تجعل من قاعدة فعلك قانوناً كلّياً للطبيعة". ثانياً، **قاعدة الاستقلال الذاتي:** " اعمل دائماً على نحو تكون إرادتك العاقلة هي الإرادة المشرعة الكلّية". ثالثا، قاعدة **الغائية،** "اعمل دائماً بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي الآخرين، غاية لا مجرد واسطة"لكن حتّى يكون لهذا الواجب معنى علينا أن نسلم ببعض القضايا الضرورية لذلك:

مسلمات العقل العملي: هذه المسلمات ليست دغمات نظرية بل أنّها فرضيات ضرورية وبصورة عملية. تقود من خلال مسلمات العقل العملي إلى مفاهيم يعرضها العقل التأملي بالفعل

كقضايا لا يستطيع أن يحلها ..سوى التردي في القياسات المنطقية الفاسدة([203]). وتتمثل في: مسلمة الخلود، مسلة الحرية ومسلمة وجود الله: أمّا مسلمة الخلود، فالواجب لا يتحقق بالمنفعة، أو العاطفة، أو السعادة، أو اللذة، "فهي الشرط الضروري عملياً لديمومة مناسبة للوفاء الكامل بالقانون الأخلاقي".

أما المسلمة الثانية مسلمة الحرية فالشعور بالإلزام الأخلاقي يحتّم التسليم بالحرية الإنسانية" يجب عليك إذن أنت تقدر". ويقول مسلمة الحرية فعن الفرضية الضرورية بالاستقلال عن العالم الحسي، في حين المسلمة الثالثة عن وجود الله، فيجب التسليم بوجوده بدون برهنة، يقول كانط: " فعن الشرط الضروري لوجود الخير الأعلى([204]) ."فليس الهدف من الواجب، حسب كانط، أن نكون سعداء، بل أن نكون جديرين بالسعادة **لأنفسنا الخالدة** التي يضمنها **الله** في الحياة الأخرى. وبهذا نرى كانط أنّه انطلق من الأخلاق إلى الميتافيزيقا ليقيم ميتافيزيقا نقدية على أخلاق الواجب.

<u>الإرادة الخيرة</u>: المبدأ الأخلاقي يستند إلى مبدأ وحيد وهو الإرادة الطيبة، المستقلة عن أية غاية خارجة عنها. هذه الإرادة هي **الخير الأوحد**. يقول كانط: "..من بين الأمور التي يمكن تصورها في هذا العالم ، لا يوجد شيء يمكن عدّه خيرا على وجه الإطلاق، ودون قيد، اللهم إلا شيء واحد وهو: الإرادة الخيّرة"([205]). والفعل الأخلاقي هو أن نفعل الواجب دون أن يكون لذلك أي باعث سوى اعتبار الواجب" ومداره هو الإرادة الطيبة أو النية الطيبة.

وبهذا حاولنا أن نقدّم في هذه المحاضرة موجزاً لنظرية كانط في المعرفة، وفي نقده للميتافيزيقا التقليدية التي يحاول العقل فيها تجاوز حدوده الطبيعية لمناقشة مواضيع متعالية، فضلاً

---

[203] - كانط، عمانويل، نقد العقل العملي، ت/ أحمد شيباني، دار اليقظة العربية، 1966.ص:225.

[204] - المصدر نفسه.

[205] - كانت، إمانويل، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ت/ عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل،2014.ص: 37.

عن فلسفته الأخلاقية المؤسسة على فعل الواجب العقلي وكذا الإرادة الخيّرة، وإن كان يعاب على نقديته في المعرفة أنّ الخلاصة التي انتهى إليها، أو مذهب الشيء في ذاته لم يكن بالمقبول حتّى مع تلامذته، خاصة ما تعلّق بالله وخلود النفس.. أمّا في الأخلاق فإنّ أخلاقه ازدرت الطبيعة البشرية واعتبرت الإنسان كائناً خارج الزمان والمكان، كما أنّ الإرادة الطيبة ليست كافية للسلوك الأخلاقي، فقد تكون النية طيبة والنتيجة غير ذلك..القيّم الأخلاقية الرّاقية هي التي تنظر إلى الإنسان ككائن عاقل، وككائن له عواطف سامية أيضاً.

وهكذا، فقد حاول كانط التوفيق بين المثالية العقلانية والتجريبية، لأن المفاهيم، كما يدّعي، بدون حدوس خالية، و الحدوس بدون مفاهيم عمياء. بالاضافة إلى هذا أنه **أراد أن** يقيم نظرية المعرفة انطلاقا من رؤية ابستيمولوجية تستبعد الميتافيزيقا الكلاسيكية وتستفيد من الاكتشافات العلمية، لتصبح علما. أما الأخلاق الكانطية فكانت ذات نزعة إنسانية عميقة، يصبح فيها الله مجرد مسلمة من مسلمات العقل العملي. و بذلك أسس لميتافيزيقا محايثة، بدلا من ميتافيزيقا مفارقة.

إصرار كانط على التمييز بين عالم الظواهر و عالم الأشياء في ذاتها، كما أورده في كتاب"نقد العقل الخالص" وتبريره لافتراض الشيء في ذاته، قد يخلق مشكلة في فلسفة كانط حول مسالة تبرير هذا الافتراض.

لقد شعر خلفاء كانط، كما يقول شاخت، من الفلاسفة الألمان من هذه المشكلة أمثال هيجل و فخته.، و شعروا بضرورة إجراء تعديل أساسي لموقفه تبعاً لذلك، كما كان لفلسفته النقدية اثر كبير سيرسّخ هيجل بدوه هذه المكتسبات التنويرية، وقد أكمل هيجل ما بدأه كانط، وسيكون هذا

الموضوع بداية **القسم الثاني من المطبوعة العلمية** التي سنركز فيها على المثالية الألمانية مع أقطابها الذين كان بعضهم تلامذة كانط، فسنركز على فلسفة يوهان غوتليب فيخته (1762–1814)، الفيلسوف فريديريك شيلنج (1775 – 1854م) الفيلسوف هيجل(1770–1831) و فريديريك وشلايرماخر(1768 م – 1834م)، ثم الاتجاه الماركسي وكتابات الفيلسوف كارل ماركس وفريدريك إنجلز ثم مآل الفلسفة الحديثة مع فريدريك نتشه.